مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا «**تجديد الخطاب الديني**» وكنت قد خصصت الجزء الأول للحديث عن سمات الخطاب الإسلامي المأمول والمرتقب على صعيد الشكل حيث انصبّ الاهتمام هناك على هندسة الرسالة التي نوجهها للناس، وعلى متطلبات قبولها وتأثيرها. أما في هذا الجزء، فسيتم ـ بحول الله وطوله ـ تناول مضمون الرسالة أو مضمون الخطاب الذي نحاول استخدامه في تطوير مجتمعاتنا ونقلها من الحال التي هي عليها إلى حال أكرم وأطيب. والحقيقة أن هذه المهمة في غاية السمو وفي غاية المشقة في آن واحد. إن تجديد الخطاب الإسلامي، يستهدف ـ على نحو جوهري ـ زيادة كفاءته في إرشاد المسلمين وتحسين أوضاعهم الشخصية والعامة. وهذه مهمة جليلة؛ حيث نأمل من وراء ذلك أن نخفف من معاناة المسلمين، وأن نجعل عيشهم أهنأ، وصلتهم بالله ـ جل وعلا ـ أسمى وأوثق.

وتنبع مشقة هذه المهمة من أننا في المجال الإصلاحي نتعامل مع صورة ذهنية ورموز ومصطلحات غائمة؛ إذ إننا حين نشرح للناس أبعاد أزمة من الأزمات أو وضعية من الوضعيات، فإننا نشرح لهم في الحقيقة صوراً ذهنية، نعتقد أنهم يملكونها، ويتفاعلون معها. وكثيراً ما يكون اعتقادنا في غير محله، لأن مشاعر الناس حيال المشكلات التي تواجههم، ليست متجانسة ولا موحدة. كما أن تصوراتهم للمكاسب التي سيحصلون عليها إذا ما اتبعوا نصائحنا أيضاً متفاوتة. وشدة الضغط الذي

يواجهه فلان من الناس لا تتطابق بالضرورة مع الشدة التي يواجهها فلان أو فلان. هذا كله يجعل التقدم الذي سيتحقق من وراء تجديد الخطاب الإسلامي غير واضح المعالم، مما يجعلنا نشعر بوطأة التغيير وتكاليفه دون أن نكون واثقين من نوعية الفوائد التي سنحصل عليها.. وتتبدى مشقة تجديد الخطاب الإسلامي على صعيد آخر في استجابة صانعي ذلك الخطاب للأفكار والطروحات الجديدة؛ حيث إن كل واحد منا يعتقد أن الأسلوب الذي اعتمده في الدعوة، أو اعتمدته جماعته في العمل، ليس شيئاً مرتجلاً جاء عفو الخاطر، كما أنه لم يتشكل في يوم وليلة، مما يجعل تقبلهم المفاهيم والرؤى الجديدة يصطدم بالكثير من الصعوبات والتمنعات. فإذا أضفنا إلى هذا أن كل ما نقوله في شأن تجديد الخطاب لا يتعدى أن يكون تعبيراً عن وجهات نظر خاصة واجتهادات شخصية ـ في أحيان كثيرة ـ أدركنا هشاشة الأرض التي نقف عليها. لكن مع كل هذا فليس أمامنا سوى خيار واحد هو الاستمرار في بذل الجهود من أجل الوصول إلى أفضل بلورة ممكنة. وعلينا أن نكون واثقين بأن الله ـ تعالى ـ قد يغيّر بالمقولة الواحدة أحوال أناس كثيرين، لا نعرفهم. وكثيراً ما يجد بعض المسلمين في فكرة من الأفكار مخرجاً من وضعية حرجة. ومع هذا فنحن محتاجون للتجديد في طروحاتنا على نحو مستمر، لأننا نعتقد أن إدراكنا في الماضي للخطاب الملائم لم يكن كاملاً. أضف إلى هذا أن التحديات والأزمات التي يواجهها كثير من المسلمين كثيراً ما تكون متجددة، مما يجعل التجديد شيئاً لا بد منه حتى تتم المعالجة على أفضل وجه ممكن. إننا إذا أخلصنا النية رجونا من الله – تعالى – المثوبة والأجر، وإن كانت النتائج من وراء سعينا صغيرة ومحدودة.

والله الهادي إلى سواء السبيل..

د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار

المدينة المنورة في ١٤٢٦/٣/٤هـ

obeikandl.com